

بوق الحكمة من يمشى ومن يثرت
الحكمة فقد أوتى خيراً كبيراً وما
يذكر إلا أوّل الألباب

المحجاة

فتشر عبادي الذين يستمعون القول
فتتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الثانية سنة ١٣١٨ - ٢٥ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٠)

الدعوة وطريقها وآدابها

مكانة الدعوة . خيبة الدعاة المسلمين . مدعو المهدوية . السنوسى ونجاحه .
مهدي الهند . طريقة الدعوة . الحكمة للخواص والموعظة للعوام . المسلمات
والشعريات والخطابة . غير المحق لا تم دعوته في هذا العصر . معرفة لغات المدعويين .
أخلاقهم وعاداتهم . تقاليدهم وعلومهم . استنفات النظر . التلطف والرفق . اقتناع الداعي
بما يدعو اليه . الصبر وسعة الصدر . الرجاء واليأس . الشواهد القرآنية على هذه
الصفات . تمسك دعاة النصرانية بها من دون المسلمين . اقتراح على مشيخة الأزهر
أدعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

علمنا الله تعالى في القرآن ان طريقة رُسله في نشر الدين انما هي الدعوة
اليه وعلما بسننه في شؤون الأنسان الاجتماعية ان هذه الطريقة هي الطريقة
المثلى لنشر المذاهب والأديان لا يضل سالكها عن مقصده مهما عرف
منارها واعلامها . وراعى آدابها واحكامها . وسدد الى الاغراض سهاها .

نخاطب العقل بالبرهان . وحرك سواكن الوجدان . وأشرف على النفوس من شرفات التأثير . وبصرها بحسن العاقبة أو سوء المصير .

بينما في المقالة التي نشرت في الجزء الماضي أن الأديان والمذاهب

لا تنشر إلا بالدعوة ولا تطوى إلا بتركها وإن الشرط في انتشارها هو

كون الدعوة صحيحة لا كونها هي صحيحة في نفسها ولا بد من بيان شروط

الدعوة وآدابها خدمة لمن يوفقه الله تعالى من فضلاء المسلمين وعلمائهم

وأهل الغيرة والحمية منهم . لإقامة هذا الركن الأعظم . والقيام بهذا الفرض

الاجتماعي المحتم . والتصدي لإرشاد هؤلاء الملايين الذين يتشدقون بكلمة

(الاسلام) ولا يعلمون مسماها . ويتمسكون بلفظها ولا يفقهون حقيقة

معناها . فقد قام فيهم دعاء يهتفون باسم المهديّة . ومرشدون يدعون

سلوك الطريقة الصوفية . ولكن أحداً منهم لم يرع الدعوة حق رعايتها .

ويقف من الطريقة على جادتها . فطاشت سهامهم . وخسرت أيامهم .

وزادوا شمل الأمة تفريقاً . واديم الدين تمزيقاً . على أن منهم من دعا إلى

حق ولكن بغير حكمة . ولا مراعاة لما تقتضيه سياسة الأمة . وأمر معروف

ولكن على غير المنهج المعروف . ونهى عن منكر ولكن على غير الوجه

المألوف . ولم تنجح دعوة اسلامية مع الثبات إلا دعوة السنوسى فى ادى

المغرب الاسلامي والظاهر انها دعوة اجتماع لادعوة اصلاح وسبب نجاحها

شخص الداعى وشخص خليفته القائم الآن من حيث هما شيخان صوفيان

وصالحان مرشدان ولعلها لا تخلو من مبادئ اصلاح وليس من موضوعنا

الآن البحث فيما يجب ان يدعى اليه المسلمون من القيام بحقيقة

الدين على الوجه الذى يودى الى سعادة الدنيا بحسب سنن المدينة الحاضرة

والمستقبلية والى سعادة الآخرة فنخوض فى الطريقة السنوسية هل هى كافية لذلك ام لا واما كلامنا فى الدعوة نفسها ونجاح هذه الطريقة ظاهره انه من قبيل نجاح طرائق التصوف الاخرى وعسى ان تكون لها قواعد ثابتة لا تتداعى بموت الداعى ولا تنزل بزواله . وفى الهند قائم يدعى المهديوية التى هى امنية عامة المسلمين فى تجديد دينهم واعزازة ويظهر انه قد احسن الدعوة لان متبعيه الآن يزيدون على مائة الف وقد اهتدى بهم خلائق من الوثنيين الى الاسلام وهو الآفة الكبرى على دعاة النصرانية هناك يناظرهم فى الجماع والشوارع فيبكتهم ويسكتهم وانا نستشف من وراء الحجب التى بيننا وبينه ان دعوته لا تروج عند خاصة المؤمنين الذين وقفوا على العلوم والفنون وعرفوا طبيعة العمران واصول الاجتماع البشري ولا يرجى ان تكون عامة . وقد بينا من قبل ان من اسباب ثبات الدعوة وانتشارها وغلبتها على ما يعارضها كونها حقاً فى نفسها ومستوفية للشروط التى نقصها عليك الآن فاسمع لما يتلى

علمنا الآية الكريمة التى افتمننا بها هذه المقالة ان الدعوة طريقين : الحكمة والموعظة الحسنة . نأما الحكمة فهي خطاب العقل بالبرهان واما الموعظة فهي لتأثير فى النفس بمخاطبة الوجدان . فالأولى للخواص والثانية للعوام والمقصد واحد . ولا يحتاج الى الطريقتين الا من يدعو الى حق موافق لمصلحة الناس الحقيقية ولذلك قام اكثر الدعاة فى العالم على الطريقة الثانية ووقفوا على منبر الخطابة ابتغاء اقتناع النفوس بالمسلمات وجذبهم بزمام الوجدان حيث السلطان الأعلى للقياسات الخطائية والشعرية . لا للحبج البرهانية . واذا نجح هؤلاء فى كل عصر مضى فلا يدوم نجاحهم فى هذا

العصر لأن العلم الحقيقي الرائجة سوقه فيه خصم لهم وهو الخصم الذي لا يقالب . والقلم الذي لا يبارز . والقرن الذي لا يناهز . والناطق الذي لا تدحض حجته . والسالك الذي لا تنطس محبته .

ذكر الله الطريقتين ثم ذكر كيفية السلوك فيهما . والسير عليهما . وهي المجادلة بالتي هي احسن . الهادية التي هي اقوم . ويشترط في هذه المجادلة بل وفي اصل الدعوة شروط :

(احدها) العلم بلغة من يراد دعوتهم ومجادلتهم ولهذا ترى دعاة النصرانية يتعلمون جميع اللغات وينقلون اليها كتبهم الدينية واما رجال الدين من المسلمين فيرون في تعلم اللغات اعراضاً عن الدين الذي لا وظيفة لهم الا القيام بحفظه ونصرتة . ونشره وتعميم دعوته . وقد علمنا ان الداعي الذي في الهند عارف باللغات المنتشرة هناك كالأوردية والفارسية والانكليزية كما هو عارف بالعربية . والشاهد لهذا الشرط من الكتاب العزيز قوله تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليعتق لهم »

(ثانياً) العلم باخلاق الناس وعاداتهم . ومواقع اهوائهم ورغباتهم . ليخاطبهم بما يعقلون . ويمجادهم بما يفهمون . واكثر المشتغلين عندنا بعلم الدين يرون البحث في الاخلاق والمادات . من تضييع الأوقات . والتفتيب عن شؤون الدهماء . لا يليق بمقام العلماء !!!

(ثالثاً) الوقوف على ما عندهم من المذاهب والتقاليد الدينية . والعلوم والفنون الدنيوية . ما يتعلق منها بالدعوة . ويصلح ان يكون شبهة . ومن جهل هذا القدر كان عاجزاً عن ازالة الشبهات . وحل عقد المشكلات . ومن فاته هذا الشرط وما قبله لا يقدر ان يخاطب الناس على قدر العقول

والاحلام . كما كان شأن سادة الدعاة الى الله عليهم الصلاة والسلام .
ولقد علم رؤساء الديانة النصرانية ان ما كان من جهلهم بالعلوم الكونية
ومعاداتهم لها . وتحكيمهم الدين فيها . مؤذناً باضمحلالها . ومنفضاً الى
زوالها . فأخذوا بزمامها . وقادوها بخطامها . وقربوا بين عالمي الملك
والملكوت . وقرنوا بين علي الناسوت واللاهوت . وبهذا امكثهم حفظ
حرمة الدين . واعلاء كلمته بين العالمين . وديننا هو الذي ربط بين العالمين
ولكننا نقطع الروابط . وجمع بين العلمين ولكننا نهدم الجوامع . ولهذا
جهلنا وتعلموا . وسكتنا وتكلموا . وتأخرنا وتقدموا . ونقصنا وزادوا .
واستعبدنا وسادوا

(رابعها) القاء الدعوة بصوت ينبه العقول والفكر . وصيحة تستلقتها
الى البحث والنظر . وتشوق النفوس الى غايتها . وتخفيفها من مغبة مخالفتها .
وهذا الشرط قد نطق به المتكلمون ونص بعضهم على ان من لم يتبانه
الدعوة على وجه يستلقت الى النظر يكون معذوراً اذا بقي على كفره .
ولا يمكن تحديد هذا الشرط الا ببيان ما يدعى اليه الداعون . ويرشد
اليه المصلحون . ومن نظر في تاريخ الملل . واخبار دعاة المذاهب والنحل .
يعلم انه لم ينشر مذهب ولا دين . الا وكان هذا الشرط ركنه الركين .
ومن شواهد في القرآن العزيز قوله تعالى « وقل لهم في انفسهم قولاً بليغاً »
(خامسها) التلطف في القول . والرفق في المعاملة . وهذا اول ما
يتبادر الى الفهم من قوله تعالى « وجادلهم بالتي هي احسن » والقرآن يبين
هذا في مواطن كثيرة وآيات متعددة . اقرأ ان شئت قوله عز وجل
« وانا اولى اياكم لهدي او في ضلال ميين . قل لا تسألون عما اجرنا

ولا نسأل عما تعملون» فما بعد هذا التلطف فحج يسار فيه . ولا وراء هذا الرفق غاية ينتهي اليها . والسرف فيه ان النفوس جبات على حب الكرامة . وتربت في الغالب على الرعونة . ونشأت على التقيد بالمادة . فمن رام الخروج بها عن عاداتها . وصرفها عن غيرها الى رشادها . ولم يمزج صرامة الحق . بحلاوة الرفق . ولم يصقل خشونة التكليف . بصقال القول اللين اللطيف . كان الى الانقطاع اقرب منه الى الوصول . ودعوته اجدر بالرفض من القبول . وان اردت الدليل الصريح من القرآن . على تأييد هذا البيان . فاقبل قوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام . « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » فهو ينبئك بأن ابن القول محل رجاء التذكر . والمعدن للنفوس للخشية والتبصر .

ومن هنا تفهم السر في حماية الانبياء عليهم السلام من الماهات المنفرة . وجعلهم اكل الناس آداباً واخلاقاً . « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » . وقد اهتمدى لهذا دعاة المذاهب الناجحة . والاديان المنتشرة . حتى ان دعاة النصرانية في الصين . يلبسون لباس البوذيين . ويحماون اصنامهم . او يبيعونها منهم . توصلوا الى عقيدة يلقونها . وتوصلوا الى كلمة يقولونها . او نفثة يثثونها . غلوا بازاء غلو . وضعة في مقابلة كبر وعتو . فان الصينيين يعلون في الدين . ويحقرون من دونهم من العالمين . وكأين من داع افسد العنف دعوته . واسفل كلمته . اولئك الذين فرقوا الدين الواحد بالخلاف . وألقوا المداوة بين الاخوة بقلة الانصاف .

(سادسها) تلبس القائم بالدعوة بما يدعو اليه بأن يكون موقفاً او

مقتنعاً به ان كان اعتقاداً ومتخففاً به ان كان خلقاً وعاملاً به ان كان من الاعمال . فمن لم يكن موقفاً ولا مقتنعاً فقلما يقدر على اقتناع غيره لان فاقد الشيء لا يعطيه . ومن حث على التحلي بفضيلة وهو عاطل منها . او أمر بالتزكي من رذيلة هو متلوث بها . لا يقابل قوله الا بالرد . ولا يعامل الا بالاعراض والصد . وينشده لسان الحال . اذا سكت لسان المقال :

يا ايها الرجل المعلم غيره	هلاً لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء الذي السقام وذى العنا	كيميا يصح به وانت سقيم
ونراك تجذب للارشاد نفوسنا	ابداً وانت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانها عن غيرها	فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك ينفع ما تقول ويقندي	بالقول منك وينفع التعليم

وما كان من الدعوة متعلقاً بالاخلاق والاعمال فهو تربية والتربية النافمة انما تكون بالفعل لانها مبنية على القدوة وحسن الاسوة . لا بمجرد القول . ألم يبلغك حديث الخلق في الحديدية وكيف لم يمثل الصحابة عليهم الرضوان امر النبي صلى الله عليه وسلم به حتى خلق هو فاقتدوا بفعله اجمعين ومن هنا تفهم السر في عصمة الانبياء عليهم السلام

(سابعها) الصبر . وسعة الصدر . فمن استعجل الشيء قبل اوانه . عوقب بحرمانه . ومن ضاق صدره ملّ . والملا آفة العمل . وقد جعلنا هذين شرطاً واحداً لتلازمهما وجوداً وعندما . وحسبك من دليل اشتراطهما في الكتاب قوله تعالى « فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » وقوله عز وجل « فلا يكن في صدرك حرج منه لتندر به » وقوله تبارك اسمه « فلعنك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث

أسفًا» ولا يختص الصبر بعدم استعجال النائدة قبل وقتها بل الصبر على الأذى الذي يتلى به الدعوة دائمًا أكد وألزم . وفضله أكبر وأعظم . وهو الذي جعله الله تعالى دليل الإيمان والميز لا هله عن المنافقين « ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أودى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » .

ولم يعرف دعاة النصرانية من هذه المزية السامية والنتبة الشريفة فإن الجرائد والبرقيات تحدثنا أننا بعد أن بما يقاسون من الإهانة والأذى . والمشقة والبلاء . لاسيما في احشاء افريقيا والصين . ولكن علماءنا يشترطون أن يكافؤوا على الدعوة بالتعظيم . والأجر العاجل الكريم . وأن يكفل لهم كافل بأنهم يقابلون بالقبول . وحصول المأمول . حتى ان منهم من كتب ذلك في جريدة . وصرح بأنه مبني على اصول العقيدة

ومما يحسن ذكره هنا ما بلغني من كيفية امتحان الدعوة واليك حديث امتحان منها . درس بعض المستعدين للدعوة علم اللاهوت والعلوم الاجتماعية والتهدئية والرياضية والطبيعية واخذ الشهادات بها ثم طلب امتحان الدعوة من احدى الجمعيات الدينية فاحالته الجمعية على رجل في بلد غير الذي هو فيه فلما جاءه استأذن عليه مرفأاً له بقصده فأجابه خادمه أن انتظره ساعة في هذا المكان من بيته فمرت الساعة واليوم وخرج الرجل من البيت وعاد اليه ولم يقابله فلما كان اليوم الثاني دخل عليه بعد الظهر وقال له أطلت عليك واظنك قد جمعت فهل تأكل معي فقال نعم فحضر الطعام وأكلا وبعد الأكل كتب له الشهادة من غير أن يسأله عن شيء وإنما كتب حكايته معه وقال انه اكل معي من غير انفعال ولا تأثر ولم ار على وجهه شيئاً من ملامح الامتعاض لسوء المعاملة التي عامته بها فليقبل .

(ثامنها) الأمل بالنجاح . والرّجاء بالفلاح . مها عظمت المصاعب . وانتابت النوائب . فان اليأس أدوا الأذواء . الذي لا ينجح مع وجوده دواء . وناهيك ان القرآن جمعه مع الكفر في قرن . وجعله مع الضلال في كفن . والآيات في هذا طوافة في الاذهان . فائضة على كل لسان . واذكر من تلبس دعاة النصرانية بهذا الشرط ما كنت قرأته في جريدة لهم قالت ما مثاله : ان اول بعثة ارسات الى الصين بعد الاستعداد بتعلم اللغة الصينية وطبع الكتاب المقدس بها مكثت بضع سنين (وأظنها حددته بثمان) لم يجب دعوتها احد فاستأذنت من الجمعية الكبرى بمفادرة الصين لليأس من تنصر احد من اهله فاجابتهم الجمعية بانكم لم ترسلوا التنصير الناس او الزامهم بالنصرانية فترجموا العدم حصول المقصود وانما وظيفتكم الدعوة الى آخر الحياة سواء اجابكم الناس ام لم يجيبوكم فثبتوا حتى صار الناس يدخلون في دينهم بالتدريج . وانما هدى هؤلاء للقيام بهذا الشرط كثيره الصديق في خدمة دينهم والمرص على نشره وقد فقدنا نحن هذا من عهد بعيد فصرنا نقرأ القرآن (الذي لم يغادر شرطاً من شروط الدعوة الا بينه) للتبرك وشفاء الامراض الجسدية او للطرب في الافراح وهم الذين قاموا بالعمل به . هل تفكرت يا اخي المسلم بقوله تعالى « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقوله « وما انت عليهم بوكيل » وقوله « نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ؟ وهل اطلت الفكرة يا اخي فحين قام بحقوق هذه الآيات وامثالها ام تكفي عند قراءتها وسماعها بقول (الله الله) سبحان من هذا كلامه كما تلقيت عن عامة الناس ؟؟؟

هذا ما عن لنا الآن من مهات شروط الدعوة وآدابها فاذا اقترحنا على فضيلة شيخ الجامع الأزهر أن ينتخب بمساعدة مجلس ادارته طائفة من نجباء المجاورين للاستعداد للدعوة والقيام بشروطها وآدابها هل ينظر في اقتراحنا ويحبب طلبنا ؟؟ ام يقول ان هذا ليس من وظيفة الأزهر ؟؟ واذا فرضنا ان شيخ الجامع الأزهر لم يلتفت لهذا الطلب ولم يصف لهذا الاقتراح وهو الملقب بشيخ الاسلام فهل نطلبه من المستر دنلوب سكرتير المعارف في مصر والقابض على أزمة المدارس ؟؟ اجيبونا يا اولي الالباب . ولكم الاجر والثواب . والا فلنا يجب قبل كل شيء دعوة المسامحين الى الاسلام حتى اذا قبلها الكثيرون يوجد من يفار على الدين ويقوم بحقوقه ويسمي في اعلاء كلمته . وتعميم هدايته . وهذه هي الدعوة التي لا يمكن شرحها في الجرائد وانما توكل الى عمل العاملين . وسعي المصاحين . والله ولي المتقين .

باب التوسل والتعلم

﴿ أمالي دينية - الدرس الرابع عشر ﴾

« القضاء والقدر »

م (٤٠) - شأن هذه العقيدة - هذه المسئلة من تواج البحث في العلم والارادة وهي القننة التي ابتليت بها الامم فوقعوا في بحار الخيرة تدافعهم أمواج الشكوك ويتلقاهم آذي الشبهات (اي موجها) حتى غرق فيها أكثر الخائضين ونجا الاقلون . ومن عجيب امرها ان العامة اعلم بها من أكثر الخاصة . وان الأميين اقرب الى اليقين بها من الكاتين . وان